﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ [النجم: 47 - 49]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

الإقرارُ بالنشأة الأولى إقرارٌ بالأخرى، فاللهُ قادرٌ على النشأتين

عَدَلَ البيانُ الحكيم من الانتقال من نعمةِ الخلق، بقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾، إلى نعمةِ الرزق، بقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾، رغمَ تناسبهما بكونهما امتنانًا واقتدارًا على طريقةٍ تشبهُ الاعتراضَ؛ ليُقْرَنَ بين البيانين ذِكْرُ قدرته على النشأتين[1]، أي: جعل ذِكْرُه للنشأة الأولى تَمهيدًا وتَوطئةً للنشاة الأُخرى[2]، فلمّا ساقَ اللّهُ ما سبقَ دَليلًا على إحاطةِ عِلْمِه، فلَزِمَها أنْ دَلَّتْ على تمامِ قُدرته، وخَتَمَها بالنَّشأةِ الأولى، فلَزِمَ من ذلك الإقرارُ حَتمًا بأنَّه قادِرٌ على البَعث؛ عَبَّرَ بما يَقتَضي أنَّه لَمّا تقَدَّمَ به وعْدُه على جميعِ ألسِنَةِ رُسُلِه؛ صار واجِبًا عليه، بمعنى أنَّه لا بُدَّ من كَونِه؛ لأنَّه لا يُبَدَّلُ القَولُ لَدَيه، لا غَيرُ ذلك[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلنَّشْأَةَ﴾: الإنشاءُ: البدءُ، ومنه أنشَأ فلانٌ حديثًا، أي: ابتدأ حديثًا ورفعه، والأصلُ في معناه: الارتفاعُ، ومنه: أنشأه اللّهُ، بمعنى: رفعَه، وهو أيضًا إحداثُ الشَّيءِ وتربيتُه وإيجادُه[4]، والإنشاءُ: ابتداءُ الخَلْق، وكلُّ مَنِ ابتدأ خلْقَ شيءٍ، واخترعَه؛ فقد أنشأه، والإنشاءُ الاختراعيُّ غير المسبوقِ بمثالٍ لا يليقُ إلّا بالباري تعالى[5]، والمراد بالنشأة الأخرى هنا: الإحياءُ بعد الموت[6].

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 147.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 145.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 75.
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (نشأ).
(5) السّمين، عمدة الحفّاظ، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نشأ).
(6) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 164، والهرري، حدائق الروح والريحان: 28/ 170.

2) ﴿ٱلْأُخْرَىٰ﴾: أصلُ (أخر) خِلافُ التَّقَدُّم، والآخِرُ: نَقيضُ المُتَقدِّم، وتالٍ لِلأوَّلِ، والأُخُرُ نَقيضُ القُدُم[1]، والآخَرُ: بمعنى ثانٍ، ويُقالُ للمؤنث أُخرى[2]، والآخَرُ: أحدُ الشيئين، وهو بمعنى (غير)، كقولك: رجلٌ آخَر، إلّا أنَّ فيه معنى الصفة، فأصله أفعل من التأخُّر، والأنثى أُخْرى[3]، ومعنى الأخرى: التي لا نشأةَ بعدها، وهي مقابلُ النشأة الأولى[4].

3) ﴿أَغْنَىٰ﴾: (غني) يَدُلُّ على الكِفايَةِ، والغِنَى في المالِ، يُقالُ: غَنيَ يَغْنَى غِنًى، والغَناءُ بفَتحِ الغَينِ مَعَ المَدِّ: الاستِغناءُ والكِفايةُ، يُقالُ: لا يُغني فُلانٌ غَناءَ فُلانٍ، أي: لا يَكْفي كِفايَتَهُ[5]، وغَنيَ القَومُ في دارِهِم: أقاموا، كَأنَّهُمُ استَغنَوا بها[6]، والغُنيَةُ: اسمٌ من الاستِغناء عَن الشَّيءِ[7]، والمغاني: المنازِلُ الَّتي يَقطُنُها أهلُها، واحِدُها مغنًى[8]، والغنى: التَّمكُّنُ من الانتفاع بما يحبُّ الانتفاع به، والمراد بقوله: ﴿أَغْنَىٰ﴾ في الآية: أعطى ما به الغنى من شاءَ من عباده بالأموال[9].

4) ﴿وَأَقْنَىٰ﴾: (قني) يدلُّ على مُلازَمَةٍ ومُخالَطَةٍ، ومنه قَنَى الشَّيءَ، واقْتَناهُ؛ إذا كانَ ذَلِكَ مُعَدًّا لَهُ لا لِلتِّجارَةِ[10]، والاقتناءُ: أخْذٌ في الحوزة دائمٌ، والمعنى في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ أعطاه ما يدَّخره بعد الكفاية، أي: ما يقتنيه، أي: أعطى ما فيه الغنى، وما فيه القِنْيَةُ، أي: المال المدَّخر، وقيل: ﴿وَأَقْنَىٰ﴾: أرضى، وتحقيقُ ذلك أنَّه جعل له قِنْيَةً من الرِّضا والطّاعة، وذلك أعظم الغناءين[11]، ويمكن أن يكون معنى أقنى: ضدَّ أغنى، أي: أفقرَ من شاء منها[12].

5) ﴿ٱلشِّعْرَىٰ﴾: نجمٌ أو كَوْكَبٌ، وهو الكوكبُ المضيء الذي يطلعُ بعد الجوزاء، ولعله

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أخر).
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 294.
(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (أخر).
(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 148.
(5) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (غني).
(6) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات: (غني).
(7) الأزهري، تهذيب اللغة: (غني).
(8) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (غني).
(9) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 149، والهرري، حدائق الروح والريحان: 28/ 170.
(10) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قنا).
(11) الراغب، المفردات: (قنى).
(12) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 150، والهرري، حدائق الروح والريحان: 28/ 170.

سُمّي بذلك؛ لأنَّه مُعلَّمٌ بظهور ضوئه، فسطوعُ ضوءِ النجم يجعلُ له أشعَّةً كالشَّعْر[1]، والمعنى في الآية هنا موافقٌ للمعنى اللُّغوي، أي: النجمُ الذي يُسمّى هذا الاسم، وهو نجمٌ كان بعضُ أهل الجاهليَّة يعبده من دون الله، وهو من نجومِ برجِ الجوزاء شديد الضياء، ويُسمّى: كلبَ الجبار؛ لأنَّ برجَ الجوزاء يُسمّى الجبار عند العرب أيضًا، والشِّعْرَى: النجمُ الوقّاد الذي يتبعُ الجوزاء، وهو من البروج الربيعيَّة، أي: التي تكون مدَّةَ حلولِ الشمس فيها هي فصل الربيع[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تأكيدُ تحقُّق وعدِ اللـه بـالإحيـاء بعد الموتِ

وأنَّ على ربِّك يا محمد - وفاءً بوعدِه - أن يخلقَ هذين الزوجين بعد مماتهم، وبلاهم في قبورهم الخلقَ الآخر، وذلك بإعادتهم أحياء خلقًا جديدًا، كما كانوا قبل مماتهم[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة العطف بالواو في قوله: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ﴾:

دلالـــــةٌ عـلى عـجيبِ تكـوينِ نسلِ الإنسان

رغمَ أنَّ ذِكْرَ البيانِ الحكيم للنشأة الأولى جاءَ تَمهيدًا، وتَوطئةً للنشاة الأُخرى، بما يقتضي أنْ يُقال: إنَّ عليه النشأةَ الأخرى، بدون عطف، وبكسر همزة (إن) إلّا أنَّه عدلَ إلى ذكر العاطف باعتبارِ استقلال جملة: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾، بالدَّلالة على عجيبِ تكوينِ نسلِ الإنسان[4]؛ وذلك ليقرن بين البيانين القدرة على النشأتين، وأنَّه - سبحانه وحده - القادر على النشأتين.

بلاغة التوكيد بـ(أنَّ) وحرف الاستعلاء، وعود الضمير فيه:

أفادَ التأكيدُ بحرف (أنَّ)، والتعبير بحرفِ (على) الدال

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (شعر).
(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 550، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 150.
(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 548، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 164.
(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 145.

توثيقُ الوعدِ الإلهي، والتأكيدُ على أنَّ البعثَ أمرٌ مقطوعٌ به لا يحتملُ التَّردُّد

الاستعلاء، في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ تَحقيق النشأة الأخرى، شبَّهَها بالحقِّ الواجبِ الذي لا يَتخلَّفُ، فكأنَّه حقٌّ واجبٌ؛ لأنَّ اللهَ وعَدَ بحُصولِ ما اقتَضَتْه الحِكمةُ الإلهيَّةُ؛ لظُهورِ أنَّ اللهَ لا يُكرِهُه شَيءٌ، كقوله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأنعام: 12][1]، وهذا التأكيدُ الذي أفادَ التحقيق، هو ردٌّ لإنكارِ الكافرين للبعث[2].

الغرض من تقديم شبه الجملة ﴿عَلَيْهِ﴾ على اسم أنَّ ﴿ٱلنَّشْأَةَ﴾:

اهتمامٌ بتحقيقِ وعدِ الله بالبعثِ واختصاصه به

قدَّمَ البيانُ الحكيمُ الخبرَ ﴿عَلَيْهِ﴾ على اسم (أنَّ)؛ للاهتمامِ بالتَّحقيقِ الَّذي أفادَتْه (على)؛ تَنبيهًا على زيادةِ تَحقيقِه بعدَ أن حُقِّقَ بما في (أنَّ) مِن التَّوكيدِ[3]، ولإفادة الاختصاص، أي: إرادة الإحياء بعد الموت خاصٌّ باللهِ علمًا وقدرة[4].

معنى اللام ودلالتها في: ﴿ٱلنَّشْأَةَ﴾:

النشأة الأخرى هي الإحياء بعد الإماتة

النَّشأةُ: المرَّةُ مِن الإنشاءِ، أي: الإيجاد والخلْق، وآثر البيانُ الحكيم التَّعبير بها معرَّفةً بـ(الـ) العهدية؛ لإفادة أنَّها النشأة المعروفة المعهودة لدى المخاطَبين، وهي الإحياء بعد الإماتة.

سرُّ التقييد بالصفة: ﴿ٱلْأُخْرَىٰ﴾:

النشأةُ بعد الموت للحساب لا نَشأةَ بعْدَها

وصفَ البيانُ الحكيمُ ﴿ٱلنَّشْأَةَ﴾ بـ﴿ٱلْأُخْرَىٰ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ هذه النَّشأةَ هي النشأةُ الَّتي لا نَشأةَ بعْدَها، وهي مُقابِلُ النَّشأةِ الأولى الَّتي يَتضمَّنُها قولُه تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾، وهذه المُقابَلةُ هي مُناسَبةُ ذِكرِ هذه النَّشأةِ الأُخرى[5].

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 148.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 75.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 148.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 75.
(5) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 148 - 149.

تنوُّع القراءات في ﴿ٱلنَّشۡأَةَ﴾ وثراء المعنى:

في مصدريَّة القراءتين تأكيدُ تحقُّقِ وعدِ الله بالنشأة الأخرى

قرأ الجمهورُ ﴿ٱلنَّشۡأَةَ﴾ بوزن الفَعلَةِ، وهو اسمُ مصدر (أنشأ)، وليس مصدرًا؛ إذ ليس (نَشَأ) المجرد بمتعدٍّ، وإنَّما يقال: أَنْشَأ، وقرأها ابن كثير وأبو عمرو ﴿ٱلنَّشَآءَةَ﴾ بألفٍ بعد الشين المفتوحة[1]، بوزن الفَعالَةِ، وهو من أوزان المصادر، لكنَّه مقيسٌ في مصدر الفعل المضموم العين، في الماضي نحو الجزالة والفصاحة، ولذلك فالنشاءة بالمدِّ مصدرٌ سماعي مثل الكآبة، ولعل مَدها من قبيل الإشباع[2]، وفي مصدرية كلتا القراءتين تأكيد تحقُّق وعدِ الله بالنشأة الأخرى، أي: بالإحياء بعد الموت.

معنى الواو ودلالتها في: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ﴾:

في العطف تذكيرٌ وامتنانٌ وإظهارٌ للاقتدار

يجوزُ أن تكون جملة: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ﴾ عطفًا على جملة: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ٣٨﴾ [النجم: 38]، فهي من تمامِ تفسير (بما في صحف موسى وإبراهيم)، ويجوز ألّا يكون مضمونها مشمولًا لما في صحف موسى وإبراهيم، وإنَّما هي معطوفة على قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ﴾[3]، بجامع التناسبِ بينهما؛ إذ إنَّ كليهما يتضمَّنان الامتنان، وإظهار الاقتدار.

سرُّ التوكيد بـ(أنَّ)، وبيان عود الضمير فيه:

في التوكيدِ تنبيهُ النفوس وتربيتها على أن ترى اللهَ في كلِّ سبب

أكَّدَ البيانُ الحكيم قصْرَ صِفةِ الإغناءِ والإقناءِ على اللّه دونَ غيرِه؛ لذهولِ النّاس عن شُكرِ نِعمةِ اللّهِ تَعالى بإسنادِهم الإرزاقَ لوسائلِه العاديَّةِ من السعي وغيره[4]، فأراد اللّهُ بهذا التوكيد تنبيهَ النفوس وتربيتها على أنْ ترى في كلِّ سبب قدرة الله سبحانه.

(1) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/ 343.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 149.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 150.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 76.

دلالة التَّعبير بضمير الفصل ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ﴾:

أتى البيانُ القرآنيُّ في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾، بضَميرِ الفصْلِ (هو)؛ لقصْرِ صِفةِ الإغناءِ والإقناءِ عليه تَعالى دونَ غيرِه، وهو قصْرٌ ادِّعائيٌّ؛ لمُقابَلةِ ذُهولِ النّاسِ عن شُكرِ نِعمةِ اللّهِ تَعالى بإسنادِهم الإرزاقَ لوسائلِه العاديَّةِ، معَ عدَمِ التَّنبُّهِ إلى أنَّ اللّهَ أوجَدَ مَوادَّ الأرزاقِ وأسبابَها، وصرَفَ موانِعَها[1]، أي: "هو وحده من غير نظرٍ إلى سعي ساعٍ، ولا غيره"[2]، وفي هذا القصر إيقاظٌ لغفلة الإنسان، وردُّه إلى الاعترافِ بالفضل للّه وحده، لا للوسائل الظاهرة.

اللهُ وحده هو الذي يُغني، ويُقني، فهو المصدرُ الوحيد للرزق الحقيقي

دلالة التَّعبير بالفعل الماضي ﴿أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾:

الفعل الماضي: ﴿أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾؛ يدلُّ على أنَّ الإغناءَ والإقناءَ حدثا بالفعل وتمّا، وليس ذلك مجرَّد وعدٍ أو احتمال، أي: إنَّ اللّهَ قد أغنى عباده بالفعل، وأرضاهم، أو زادهم ما يدخرونه، ومِن ثَمَّ جاء التأكيدُ على حقيقةِ النِّعمة، والفضل لا مجرَّد احتمالها، وفي هذا التعبير أيضًا بيانٌ أنَّ فعلَ الإغناءِ والأقناءِ ليس مرتبطًا بالأسباب فقط، بل هو فعلٌ إلهيٌّ قد تحقَّق، فالأسبابُ ما هي إلّا وسائل وضعها اللّه، وهو الذي يمنحُ الغنى الحقيقي.

الإغناءُ والإقناء فعلٌ إلهيٌّ قد تحقَّقَ، وما الأسبابُ إلّا وسائلُ

دلالة العطف بالواو ﴿وَأَقْنَىٰ﴾:

عطفَ القرآن (أقْنَى) على ﴿أَغْنَىٰ﴾؛ لبيانِ أنَّه سبحانه أمكنَ من المال، وأرضى بجميع الأحوال، أو أغناه حتى أرضاه، فيكون زيادةً في الامتنان، باعتبار أقنى بمعنى أرضى[3]؛ لأنَّ الغنى في الحقيقة إنَّما هو غنى النفس، وهو رضاها بما قسمَ لها وسكونها وطمأنينتها، وإنَّما سُمّي ذو المال غنيًّا؛ لأنَّ المالَ بحيث تطمئنُّ معه النفس، فمَن

من كمالِ فضله وسلطانه سبحانه أن شملَ كلَّ أحوال الرزق وألوانه

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 150.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 76.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 149.

كان راضيًا بكلِّ ما قسم اللّهُ به؛ فهو غنيٌّ، أو لبيان أنَّه سبحانه أعطى أصولَ المال، وما يدَّخر بعد الكفاية، باعتبار أقنى بمعنى جعل له قنية، أي: ممتلكات يدَّخرها، ويحتفظ بها[1]، أو لبيان أنَّه سبحانه بيده جميع أحوال الإنسان من الإغناء والإفقار، بما يدلُّ على عظيمِ سلطانه وقدرته.

سرُّ تقديمِ الغنى على القنى:

تنبيهٌ إلى أولوية رفعِ الحاجة والافتقار أوَّلًا على حفظِ المكتسبات وثباتها

تقديمُ الغنى على القنى هو تقديمُ الأصل على الفرع، وفيه تركيزٌ على أصلِ النعمة قبل فرعها، فالغنى: رفع الحاجة والفقر، وهو الأصلُ والأساس في النِّعمة، والقنى: إعطاءُ ما يقني الإنسان، ويستقرُّ به كالمال والممتلكات، واهتمامٌ بالأوسع والأشمل، وهو الإغناءُ عن الحاجة بكلِّ صورها، سواءٌ كانت مالية أم معنوية، والقنى يخصُّ جانبًا من جوانب الغنى، وهو الاحتفاظ بالموجود، كما أنَّه من باب تقديم السبب على المسبَّب؛ فرفْعُ الحاجة هو السبب الأوَّلي الذي يؤدّي إلى حفظِ المال والمكتسبات، أو هو من باب تقديم العطاء على المنع؛ تنبيهًا على سعة رحمة الله مع سلطانه.

الغرض من حذف مفعولي الفعلين:

الإغناءُ والإقناءُ مسوقان للتركيز على قدرة الله وعظيم فضله

حذفَ النظمُ الحكيم مفعول فعلي ﴿أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾؛ تركيزًا على الفعلين، لا إلى مفعوليهما، فالفعلان منزَّلان منزلةَ اللازم، أي: أوجدَ الإغناء والإقناء، فالفعلان مسوقان لقدرة الله وعظيم فضله لا لبيان المقدور، فلا حاجة إلى المفعول، فالغرض من حذفهما توفير العناية على إثبات الفعل.

بلاغة التعبير بالطِّباق بين ﴿أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾:

إظهارُ القدرة الإلهية الشاملة في الغنى والفقر والإعطاء والمنع

في الآية محسِّنُ الطباق؛ إذ جمعَ البيانُ القرآني بين الإغناء والإقناء، وهما ضدّان، باعتبار أنَّ الإقناءَ بمعنى الإفقار؛ رعيًا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 76.

لنظائره التي زاوجت بين الضدين من قوله: ﴿أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۝٤٣﴾ [النجم: 43]، و﴿أَمَاتَ وَأَحْيَا ۝٤٤﴾ [النجم: 44]، و﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾، والطباقُ هنا لإظهارِ القدرة الإلهية الشاملة في الغنى والفقر، والإعطاء والمنع، أو في جميع الأحوال التي يختارها الله.

دلالة العطف بالواو في ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾:

إنكار آخر على معتقدٍ باطلٍ للمشركين

جملة: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ لا يجوزُ اعتبارها معطوفةً على جملة: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨﴾ [النجم: 38]؛ إذ لا تصلحُ لأن تكون ممّا في صحف موسى وإبراهيم - عليهما السلام - لأنَّ الشِّعرى لم تُعبد في زمنِ إبراهيم، ولا في زمن موسى، فيتعيَّن أن تكون معطوفةً على (ما) الموصولة من قوله: ﴿بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦﴾ [النجم: 36] [1]، والمعنى: أم لم يُنبَّأ بما في صحف موسى، وبأنَّ الله هو ربُّ الشِّعرى؟.

سرُّ التوكيد بـ(أنَّ)، وعود الضمير فيه:

في التوكيد قصرُ المربوبيَّة لله وحده

الضمير في ﴿وَأَنَّهُۥ﴾ يعود على الله سبحانه لدلالة السياق، والتوكيد بـ (أنَّ)؛ ليفيد يقينًا راسخًا بأنَّ الله تعالى هو ربُّ الشعرى، أي: تؤكِّدُ على قصرِ المربوبية لله - وحده - والشِّعرى نجمٌ وقّادٌ مضيء اتَّخذته قبيلةُ خُزاعة ربًّا لها، سنَّ لهم ذلكَ أبو كبشةَ رجلٌ من أشرافِهم، وذلك لإثبات وحدانية الله تعالى عند خزاعة وعند قريش الذين ينكرون ذلك على خزاعة، ولكنهم ليسوا بأحسن حالًا، فقد اتَّخذوا معبودات أخرى كاللّاتِ والعُزَّى ومَناةَ.

دلالة التَّعبير بضمير الفصل ﴿هُوَ﴾:

في قصْرِ مَربوبيَّةِ الشِّعرَى على اللهِ دلالةٌ على عجزها

الإتيانُ بضَميرِ الفصْلِ ﴿هُوَ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾، يُفيدُ قصْرَ مَربوبيَّةِ الشِّعرَى على اللهِ تعالى[2]، وذلك كِنايةٌ عن كَونِه ربَّ ما يَعتقِدون أنَّه مِن تَصرُّفاتِ الشِّعرى، أي: هو

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 150.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 77.

ربُّ تلك الآثارِ ومُقدِّرُها، وليستِ الشِّعرى ربَّةَ تلك الآثارِ المُسنَدةِ إليها في مَزاعمِهم وأوهامهم، وهذا يحملُ دلالةً على عجزِ هذه الآلهة المزعومة، كما لا يُفهم أنَّ أسلوب القصر في الآية لقصْرِ كَونِ ربِّ الشِّعرى على اللهِ تعالى دونَ غيرِه؛ لأنَّهم لم يَعتقِدوا أنَّ للشِّعرى ربًّا غيرَ اللهِ، ضَرورة أنَّ منهم مَن يَزعُمُ أنَّ الشِّعرى ربَّةٌ مَعبودةٌ، ومنهم مَن يَعتقِدُ أنَّها تَتصرَّفُ بقطْعِ النَّظَرِ عن صِفتِها[1].

الغرض من الإضافة في ﴿رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾:

إثبـاتُ أنَّ الشعرى مَخلوقةٌ للهِ تعالى دليلٌ على إبطالِ إلهيَّتِها

عبَّر البيانُ الإلهيُّ بلفظ الربوبية مضافًا ﴿رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾؛ لإبطال مزاعم المشركين في ألوهيَّة الشعرى أو تأثيرها وإبطال عبادتها؛ لأنَّ الإضافةَ تفيدُ أنَّ اللهَ مالكُها، وخالقُها، والمتصرِّفُ فيها، فهي مخلوقة مربوبة، خاضعةٌ لله، لا تملكُ لنفسها نفعًا، ولا ضرًّا، فكيف تملكُ لغيرها؟ وإثباتُ أنَّها مَخلوقةٌ للهِ تعالى دليلٌ على إبطالِ إلهيَّتِها[2]، أي: ليس لها من الآثارِ التي يسندونها إليها في مزاعمهم شيء، وإنَّما هي من خلقِ الله سبحانه.

معنى اللام ودلالتها في: ﴿ٱلشِّعۡرَىٰ﴾:

إبطالُ ربوبية آلهةِ بعضهم إبطالٌ لكلِّ شرك

اللام في لفظ ﴿ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ للعهد، ومعهودها ذهنيٌّ، فهي معهودةٌ عند المخاطَبين، فهي نجمٌ معروف ومُعظَّمٌ عند العرب، وكان مَحلًّا للعبادة والتقديس عند بعض القبائل كخزاعة، وهو من نجوم برج الجوزاء شديدِ الضياء، ويُسمّى: كلب الجبّار؛ لأنَّ برجَ الجوزاء يُسمّى الجبّار عند العرب أيضًا، وهذا النجمُ عبدته خزاعةُ، والذي سنَّ عبادته رجلٌ من سادة خزاعة يُكنّى أبا كبشة، وكانت قريش تدعو رسولَ الله ﷺ أبا كبشة؛ لمخالفته إيّاهم في عبادة الأصنام، وكانوا يصفونه بابن أبي كبشة، وقيل: لأنَّ أبا كبشة كان من أجداد

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 152.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 152.

النبي ﷺ من قِبَلِ أمِّه، يعرضون، أو يموِّهون على دهمائهم بأنَّه يدعو إلى عبادة الشعرى، يريدون التغطيةَ على الدعوة إلى توحيد الله تعالى[1].

فنُّ التنكيت في تخصيص ﴿ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ بالذكر دون غيرها:

في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ مُحسِّنُ التَّنكيتِ؛ وهو أن يَقصِدَ المُتكلِّمُ إلى شَيءٍ بالذِّكرِ، دونَ غيرِه ممّا يسُدُّ مَسدَّه من أجْلِ نُكتةٍ في المَذكورِ تُرجِّحُ مَجيئَه على سواه، وقد خصَّ البيانُ الحكيم (الشِّعرى) بالذِّكرِ دون غيرِها من النُّجوم، في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾؛ للإشعارِ بأنَّه ﷺ وإنْ وافَقَ أبا كَبْشةَ في مخالفةِ قُرَيشٍ بتركِ عبادةِ الأوثانِ، خالَفَه أيضًا بتركِ عبادةِ الشِّعرَى، وذلك لأنَّ العرَبَ كان ظهَرَ فيهم رجلٌ يُعرَفُ بأبي كَبْشةَ عبَدَ الشِّعرى، ودَعا خلْقًا إلى عِبادتِها[2]، أو لكون ذكرِ الشِّعرى جاء متناسبًا مع ما ذُكِر من معبوداتِ المنكرين لها من المشركين وهي اللّاتِ والعُزَّى ومَناةَ، وسمّوها بناتَ الله، وكلُّها مَعبوداتٌ وهْميَّةٌ لا مُسمَّياتٍ لها، كما قال تعالى: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٌ سَمَّيۡتُمُوهَآ﴾ [النجم: 23]، أي: فلمّا تقدَّم ذكره هذه المعبودات، وأعْقَبَها بإبطالِ الهيَّةِ الملائكةِ؛ أعقَبَ ذلك بإبطالِ عِبادةِ الكواكبِ، مع ما في لَفظِ الشِّعْرَى من مُناسَبةِ فواصلِ هذه السّورةِ[3].

إبطالُ عِبادةِ الكواكبِ عقب إبطالِ إلهيَّةِ الملائكةِ

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 151.
(2) البيضاوي، مدارك التنزيل: 5/ 162.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 152.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والخمسون،
سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 58 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-62-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 58 : المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-62-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4238337 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"